

القراءة الجديدة للقرآن الكريم
بين المنهج الصحيح والانحراف المسيء

أ.د. عيادة بن أيوب الكبيسي

Vertical line on the left side of the page.

القراءة الجديدة للقرآن الكريم بين المنهج الصحيح والانحراف المسيء

أ.د. عيادة بن أيوب الكبيسي (*)

ملخص البحث:

القراءة الجديدة للقرآن الكريم مصطلح جديد، يمكن أن نعتبره ذا مدلولين:

الأول: يعني إطلاق الفكر في فهم القرآن، واستخدام النظريات المعاصرة في تأويله، دون الرجوع إلى شيء من أفهام السابقين، أو التقيد بشيء من الضوابط المقررة.

والثاني: يعني إعمال الفكر في فهم القرآن فهما جديدا يبنى على ما سبق من الأفهام، وينطلق وفق الضوابط والقواعد المقررة، وضمن الثوابت التي لا تتغير.

وتعد القراءة الجديدة بمدلولها الأول سلاحا جديدا يوجه لضرب الإسلام، وطمس معالمه، وفي البحث نماذج من إفرازات هذه القراءة، منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالأحكام، وبيان بطلان ذلك وفساده.

(*) أستاذ للتفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة - جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتعد بمدلولها الثاني أمراً مقبولاً لا يسع المسلم جهله، لما لها من هدف نبيل في إعمال العقل وعدم تعطيل وسائل الإدراك التي منحها الله تعالى للإنسان، واكتشاف ما أودع الله تعالى في كتابه من معارف وأسرار، وفي البحث ضوابط هذه القراءة، ونماذج منها، وإبراز لدور مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومؤتمرات المجامع الفقهية، ومراكز البحث العلمي، والدراسات القرآنية والحديثية والفقهية، وما أنتجت من إصدارات نافعة، فيها توضيح لكثير من مستجدات العصر وحل لمشاكله.

وقد تعددت ردود العلماء ورجال الفكر الإسلامي على القراءة بمدلولها الأول، وألفوا الكتب ونشروا المقالات والبحوث التي تدحض ما فيها من أباطيل وضلالات، وفي البحث إشارة إلى بعض تلك الكتب والمقالات.

غير أن الحاجة لم تزل ماسة لمواصلة بيان الحق وكبح جماح الباطل، الذي لم يفتأ يرفع رأسه بوجه الحق وأهله، وقد جاء هذا البحث محاولة للإسهام في هذا المجال.

وفي البحث إثارة لسؤال مفاده: لماذا القراءة الجديدة؟ والإجابة عن

ذلك.

ثم خلاص البحث إلى أن أي تجديد يدعى إليه لا يقوم على الأسس التي أرسى دعائمها سلف الأمة، ويكون مصادما للثوابت، يجب رفضه بقوة، وفي الخاتمة وجهت دعوة إلى رجال العلم والفكر والدعوة للوقوف بحزم بوجه تلك الحملة الشرسة الجديدة، وكشف زيفها وفضح دسائسها، وتبصير المسلمين بعظيم خطرهما، أسوة بما فعله أسلافهم بوجه حملات دس الخرافات من الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات الباطلة، ليحفظوا الدين كما حفظوه، وينفوا عنه كما نفوا تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وجعله نورا يهدي به من يشاء من العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين، أول مفسر لكتاب ربه الكريم، وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من القضايا المسلمة، التي لا تقبل الجدل عند المنصفين، عالمية الإسلام، وأنه جاء بكتاب صالح لكل زمان ومكان، بذلك نطق الكتاب والسنة، وعليه إجماع الأمة، وواقع المنتسبين إلى الإسلام خير شاهد على هذا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١، ونظائرها من الآيات.

وقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار ٢.

ودخول الناس في دين الله أفواجا عبر القرون، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، منذ أن جاء الإسلام إلى أيام الناس هذه، أوضح من أن يلتبس عليه دليل !!

بل إن الوعد جاء شاملا للخلقة كلها، ففي المبشرات عنه أنه قال: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاء يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يذل به الكفر ٣، يشهد له قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٤.

^١ سورة سبأ، آية: ٢٨.

^٢ أخرجه مسلم برقم ٢٤٠ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ١/١٣٤.

^٣ أخرجه الإمام أحمد ٤/١٠٣، من حديث تميم الداري - رضي الله تعالى عنه -.

^٤ سورة التوبة، الأيتان: ٣٢ و٣٣، يرى للشيخ أبو زهرة رحمه الله تعالى كما في زهرة التفسير ٦/٣٢٨٧: أن المراد بقوله {على الدين كله} للدين الحق، حيث قال: قالوا: إن المراد على الأديان كلها، ولكننا نرى أن المراد الدين الحق الذي ذكره أولا، لأن إعادة المعرفة معرفة تكون عينها، ومعنى ظهوره على الدين كله: المراد بقلوه ظاهرا معروفا، لأنه خاتم للرسل وآخرهم، ويتضمن كل ما جاءت به الرسل جميعا، وهذا هو معنى {كله}، فهو الدين الجامع لكل الرسالات السابقة، فمن آمن به فقد آمن بكل الشرائع السماوية نسليمة غير محرقة، قال: هذا ما مختاره والله الموفق للصواب !!

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: إن الدينونة ستكون لله وحده، والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه هذه الدينونة لله وحده، ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان، وكان دين الحق أظهر وأغلب، وكانت الأديان الأخرى التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف، ثم تخلى أصحاب دين الله عنه خطوة خطوة، بفعل عوامل داخلية في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية، وبفعل الحرب الطويلة المدى، المنوعة الأساليب، التي أعلنتها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء، ولكن هذه ليست نهاية المطاف.. إن وعد الله قائم، ينتظر العصابة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي، مبدئة من نقطة البدء التي بدأت منها خطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمل دين الحق، ويتحرك بنور الله^١.

وعالمية الإسلام المشار إليها، وصلاخ القرآن الكريم لكل زمان ومكان المنوه به هنا، يقتضي أن يتسع اللفظ القرآني لفهم الناس عبر القرون، مع تباعد الزمن، وتغير أنماط الحياة، وتقلب الأفكار، وهذا ما نشاهده عند تلاوة الآيات اليوم، وما شاهده الناس عبر القرون، فهي توجيهات حية - كما يقول سيد قطب رحمه الله تعالى - تنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق للمستقبل..^٢

^١ ظلال القرآن ٣/١٦٤٤.

^٢ انظر السابق ١/٦١.

إن عظمة القرآن تتأتى من قوة أسلوبه، وطريقته في التعبير عن الحقائق المتنوعة - سواء أكانت تشريعية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم سياسية، أم تربوية، أم طبية، أم فلكية، أم غير ذلك. فقد اتسع النص القرآني في التعبير عن كل ذلك لكل العصور وكل العقول على اختلاف مداركها وتفاوت أفهامها، وتنوع ثقافتها، حيث خاطب الجميع بلفظ واحد، ففهم منه أهل كل عصر ما يلائمهم، ففهمه أهل عصر الخيل والبغال والحمير، وفهمه أهل العربات والقاطرات، كما فهمه أهل الطائرات والمركبات الفضائية، وسيظل الناس يفهمونه مهما امتد عمر الدنيا وتقدمت العلوم والمعارف، فسبحان الله العظيم ما أعظم كلماته، والله در التنزيل ما أبلغ عباراته !! ١.

ولم تزل أبحاث إعجاز القرآن الكريم تتوالى في هذا العصر، وتكشف عن جوانب متعددة من الإعجاز، وقد عقد في عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م في دبي المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، قدمت فيه بحوث قيمة في هذا الباب، أسفرت عن جوانب جديدة من إعجاز القرآن الكريم، دلت على أن اللفظ الكريم لم يزل معطاء مغزيا للعقول النيرة عبر القرون، يضيف في كل عصر من المعارف والفهوم ما لا يعارض ما كانت عليه أفهام العصور السابقة، ولم يتأت هذا في كتاب في الدنيا سوى القرآن.

^١ انظر بحثنا: تدبر القرآن بين المنهج الصحيح والانحرافات المعاصرة - المنشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي - العدد التاسع عشر سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

غير أن هذا الجانب الإيجابي والفهم الصحيح في قراءة النص القرآني، لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى جانب سلبي وأفهام مغايرة، لعبت بنصوص الكتاب، وعطلت دلالاتها الواضحة، فنتج عنها ما هو مخالف لأهداف القرآن، بل منها ما هو كفر بالقرآن، وانسلاخ من الدين !! مما جعل الحاجة ماسة للكتابة في هذا الموضوع، والتنبيه على المنهج الصحيح الذي يعصم من الزلل والانحراف في هذه القراءة الجديدة لنصوص الكتاب الكريم.

وقد جاء هذا البحث محاولة متواضعة في هذا الطريق، وقسمته

إلى:

مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المبحث الأول: ففي القرآن والقراءة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القرآن - لغة واصطلاحاً -.

المطلب الثاني: تعريف القراءة، وبيان أقسامها، والمراد بها.

المبحث الثاني: القراءة الجديدة، نشأتها ونتائجها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة القراءة الجديدة، ودوافعها.

المطلب الثاني: نتائج القراءة الجديدة، نماذج من كتب أصحابها.

المبحث الثالث: ضوابط منهجية في القراءة الجديدة للقرآن الكريم،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لماذا القراءة الجديدة؟

المطلب الثاني: ضوابط القراءة الجديدة.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

والله سبحانه وتعالى هو الموفق والمستعان، والهادي إلى إصابة

الحق في القول والعمل، والحامي بفضله من الخطأ والزلل.

المبحث الأول

القرآن والقراءة

المطلب الأول: تعريف القرآن - لغة واصطلاحاً:

للعلماء كلام واسع حول القرآن، واختلاف في تعريفه، لا سيما المعنى اللغوي، وهل هو مشتق أو غير مشتق، مهموز أو غير مهموز، ولا نريد أن ندخل في هذه التفاصيل، فلها مكان آخر، إنما نريد أن نذكر من ذلك - على طريق الاختصار - ما لا بد من ذكره في مثل هذه الأبحاث، وذلك على النحو الآتي، فنقول - وبالله التوفيق :-

ذهب بعضهم إلى أن القرآن غير مشتق ولا مهموز، ومنهم الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - على ما نقله عنه الخطيب البغدادي^١ ورجحه السيوطي كما في الإتيان^٢.

وذهب آخرون إلى أن القرآن مشتق ومهموز، قيل: هو وصف على فعلان، مشتق من القرني وهو الجمع، ومنه: قرئت الماء في الحوض أي جمعته،^٣ سمي بذلك لجمع السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة، وقيل: هو مصدر قرأ يقرأ قرأناً بمعنى تلا على وزن فعلان، كالغفران والشكران مصدر غفر وشكر

^١ انظر: تاريخ الخطيب ٦٢/٢.

^٢ انظر: الإتيان ٥١/١.

^٣ انظر الصحاح ٢٤٦١/٦، والبرهان ٣٤٧/١.

- بفتح العين في الماضي والمضارع - سمي به الكتاب المقروء من باب
تسمية المفعول بالمصدر . ١

ورجحه جمع، مستدلين بأن القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه
قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ٢ وقوله تعالى:
﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي القراءة . ٣

وقد تفاوتت عبارات العلماء في تعريفه اصطلاحاً من حيث
الشمول والوضوح، ولعل أشمل تعريف وأوضحه، وأرضاه لدى أهل
العلم، هذا التعريف:

”كلام الله تعالى، المعجز، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد
بتلاوته . ٤”

وبعضهم يضيف: بواسطة جبريل - عليه السلام -، المبدوء بسورة
الفاتحة، المختتم بسورة الناس ٥، ويمكن أن نضيف: باللسان العربي، الذي
تكفل الله بحفظه.

^١ انظر: مفردات القرآن ص ٦٦٨-٦٦٩، والإتقان ١/٥١، والمصباح المنير، والقاموس المحيط، ولسان
العرب مادة: قرأ.

^٢ سورة القيامة، الآيتان: ١٧ و١٨.

^٣ سورة الرحمن، الآيتان: ٢١، وانظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ١٩.

^٤ انظر: مناهل العرفان ١/١٩، والمستصفي للغزالي ١/٦٥.

^٥ انظر: التبيين للشيخ الصابوني ص ٦.

وهذا - كما ترى - بسط في التعريف، ولو اقتصر على قولنا: كلام الله المعجز، لكان مؤدياً للغرض، إذ الإعجاز من خصائص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف القراءة، وبيان المراد بها - هنا:

القراءة: مصدر قرأ يقرأ قراءة، وهي بهذا المعنى - بالنسبة للقرآن الكريم - تعني: التلاوة، ولها شروطها وآدابها وأقسامها، ولا ندخل في شيء من ذلك هنا، إذ ليس هو موضوع بحثنا، وقراءه مقاراة وقراء - بكسر القاف -: دارسه، وتقرأ - بالتشديد -: تفقهه^١، وإذا لم يرد بالقراءة المذكورة في عنوان البحث المعنى الأول - كما هو ظاهر -، فما المراد بها إذن؟ هذا ما سنحاول الوصول إليه، فنقول - وبالله التوفيق -:

إن المعنى الثاني قريب مما يراد بالقراءة الجديدة، إذ هي دراسة الآيات الكريمة ومحاولة فهمها فهما جديداً، سواء كان بإطلاق الحرية والتحرر من قواعد اللغة والأصول - كما عليه بعض الباحثين -، أو تقييدها بذلك كما عليه جماهير أهل العلم.

وعلى كل فالقراءة المشار إليها في هذا البحث مصطلح جديد، لم أقف على من فصل القول فيها، إلا أن بعضهم ذكر أنها:

تعني استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم.

^١ انظر تهذيب اللغة ٢٧٥/٩، القاموس المحيط ١٣٦/١، والمعجم الوسيط ٧٢٢/٢ مادة: قرأ.

وقال بعضهم:

القراءة الجديدة تعني: استنطاق القرآن ذاته إجاباته الشافية، وحلوله لتحديات كل عصر وجيل وأسئلته، باعتباره الكتاب المنزل تبياناً لكل شيء إلى يوم القيامة، وحفظه وعصمته من التبديل والتغيير، وكماله وتاممه... إلخ ١.

وأرى أن القراءة الجديدة لها مدلولان، المدلول الأول: يعني إطلاق الفكر في فهم القرآن، دون الرجوع إلى شيء من أفهام السابقين، من رجال المأثور والمعقول، أو التقيد بقواعد لغة القرآن، أو بشيء من الضوابط التي وضعها علماء أصول الفقه وعلوم القرآن.

والمدلول الثاني: يعني إعمال الفكر في فهم القرآن فهماً جديداً يبنى على ما سبق من الأفهام، وينطلق وفق الضوابط والقواعد المعلومة، وضمن الثوابت التي لا تتغير.

وسنسير في هذا البحث وفق هذين المدلولين، والله تعالى هو الموفق والمستعان.

^١ انظر استراتيجيا التجديد، للدكتور محمد شريح الأنترنيت .

المبحث الثاني

القراءة الجديدة.. نشأتها ودوافعها

قلنا إن القراءة الجديدة مصطلح جديد، لم يعرفه المتقدمون، فما سمعنا بمن دعا إلى التحرر من القيود والضوابط التي وضعت في فهم القرآن، حتى المعتزلة الذين يمثلون المدرسة العقلانية في الأمة الإسلامية لم يتحرروا من تلك القيود بمثل التحرر الذي ينادي به دعاة القراءة الجديدة اليوم، فما كان المعتزلة يبدلون أو يحرفون الكلام عن مواضعه مغرضين، وما كان أي فريق منهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^١، وإنما كانوا يرون الرأي ويدافعون عنه مسلحين بقوة في الجدل والنقاش، ولكن ضمن ثوابت العقيدة التي لا تتغير، فالله عندهم هو الله، والقرآن هو القرآن، والتكاليف هي التكاليف، كما بلغها محمد ﷺ، عن ربه بألفاظ تدل على معان بذاتها دون سواها، ولم يتحرروا من التكاليف، ولم يدع أي منهم إلى التحرر منها والخروج عليها بدعوى من دلالة لفظية أو غير ذلك.. فلم يكن لفظ الله الرب، القرآن، الفرقان، الكتاب، الذكر، الإنسان، البشر، آدم، الجنة، الرحمن، الشيطان، ومثلها: الحلال، الحرام، الواجب، الجوهري، العرض، الممكن، الرضا، التوكل، الصبر، الخشية، البكاء، وما شابهها من الأمور المختلف على معانيها بين الفريقين كما يريد بعض دعاة القراءة الجديدة الآن، ولا طالب أحد منهم بإلغاء هذه الألفاظ لعدم كفايتها

^١ سورة البقرة، آية: ٧٥.

في الدلالة على معانيها وإلى التخلي عنها، كما طالب به بعضهم وقال: هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقا لمتطلبات العصر، نظرا لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي نريد النخلص منها.. إلخ ١.

المطلب الأول: نشأة القراءة الجديدة ودوافعها:

متى نشأت هذه القراءة، وما الدافع إليها؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، أقول:

من المعلوم أنه منذ أن جاء الإسلام الحنيف، وبزغت شمس في ربوع العالمين، وأعداؤه يحاربونه، ويكيدون له، ويتربصون به الدوائر، فقد هالهم ما جاء به من تعاليم قيمة، وما أرسى من مبادئ سامية، مما سارع في انتشاره وعلو سلطانه، وإقبال الناس عليه، وقوة تمسكهم به، فجن لذلك جنون خصومه، فتواطأوا على حربه بكل ما يستطيعون، فما زادتهم محاربتهم إلا خسارا، ولا الإسلام إلا انتصارا، فتحيروا في أمرهم، وغلت بالحق قلوبهم، وهاجت بالحسد نفوسهم، فأمعنوا في ذلك النظر، وقلبوا في وجوه حربه الفكر، فسول لهم شيطانهم ويا بؤس ما سول، أنكم إن أخفقتم مع الإسلام بقوة السلاح، ولم تغلبوه بالحجة والبرهان، فثمة طريق لن تعدموا النصر فيه، فأصغوا إلى شيطانهم سامعين، واستجابوا لنفخه مطيعين، فدخل فريق منهم في الدين كذبا، واعتنقوا الإسلام زورا

^١ انظر كتاب التراث والتجديد ص ١١٠، وانظر الماركسالية ص ٤٢.

وخديعة، فولجوا الباب من هذا المسلك الخبيث، فنفتوا بخرافاتهم وأساطيرهم على حقائقه، ليكذبوا صفاءه، ويشوهوا جماله، متفننين في ذلك ما بين كذب صراح اختلقوه، أو مثله من كتبهم المحرفة نقلوه ١.

أقول بعد هذا: ما أشبه الليلة بالبارحة !!

فها هو المكر والخداع يأخذان طريقهما في حرب الإسلام، ولكن بثوب جديد، والمسلك وإن كان واحداً وهو النفاق، إلا أن الفارق بين النفاقين:

- أن الأول سلك مسلك تشويه الحقائق بدس الأساطير والخرافات، ونشر الأحاديث الموضوعية والإسرائيليات، وذلك عن طريق أناس ليسوا من أهله، وإنما دخلوا فيه كذبا وزورا، واندسوا بين أهله حتى خيل للناس أنهم من رجاله.

- والثاني سلك مسلك الحرص على الإسلام في مسيرة الحياة، ومجارة التطور والرقي، بتحايل عجيب وتلاعب بالألفاظ غريب لتقديم إسلام جديد، يحمله جماعة من أهله، وزمرة من متقفي شبابه !!

فنشأة القراءة ودوافعها في مدلولها الأول إذن هو هذا، إنه مسلك التضليل الثقافي، في خبث ودهاء، تحت شعار البحث العلمي أو السعي وراء الحقيقة، وتقديم الأفكار المناهضة للدين من ماركسية وصليبية

^١ انظر كتابنا: قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول ص ٦.

بقوالب إسلامية !! التي متى ما سلم بها المسلمون - ويستحيل بفضل الله أن يسلموا بها - فقد انسلخوا من دينهم، وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم، وبذلك يؤسس إسلام جديد غير الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ خاتم النبيين، وهنا مكنم الخطر، وهو الهدف الذي يطمح إليه دعاة القراءة الجديدة بهذا المدلول.

ويمكن أن نعتبر كلمة المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي إشارة إلى هذا، إذ يقول رحمه الله تعالى:

وينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة، إذ تتلقى النهضة الإسلامية كل أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية - وبخاصة عن طريق مصر - هذه الأفكار الفنية لا تقتصر على أشياء الحياة الفكرية الجديدة التي يتعودها الشباب المسلم شيئا فشيئا، بل إنها تمس أيضا بطريقة غامضة، ما يتصل بالفكر وما يتصل بالنفس، وفي كلمة واحدة ما يتصل بالحياة الروحية، وإنه لما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المتقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية، وأحيانا داو ففهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين.

إن الدراسات الإسلامية التي تظهر في أوروبا بأقلام كبار المستشرقين واقع لا جدال فيه، ولكن هل يمكننا أن نتصور المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في البلاد الإسلامية؟^١

^١ انظر الظاهرة القرآنية ص ١٨-١٩.

وإن جذور هذه المدرسة تمتد إلى مطلع القرن العشرين الميلادي، ثم تستمر في السير على الطريق نفسه، حيث برزت كتب متنوعة في هذا الاتجاه، مثل: نقد الفكر الديني للدكتور صادق جلال العظم، و التراث والتجديد للدكتور حسن حنفي، و مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن للدكتور نصر حامد أبو زيد، ثم الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرون، وثمة أسماء أخرى معروفة، تسير في هذا الاتجاه، متأثرة بالإصلاح البروتستانتية الذي بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، وبالعلمانية التي دعا إليها الغرب، وأدت إلى استبعاد الدور الديني، والقضاء على السطلة الدينية عندهم، بل وشن الحرب المسعورة ضد رجال الدين هناك، ناسين أو متناسين الفرق الكبير بين الإسلام الحق والديانات المحرفة، وهؤلاء في الحقيقة ينوبون عن المستشرقين وغيرهم ممن حارب الإسلام من غير المسلمين، ليحاربوه مستترين بثياب إسلامية جديدة !!

الأمر الذي حرك الفكر الإسلامي، ودفعه للرد بقوة على كل هذه الأباطيل والضلالات، ومعظم الردود قد أجاد فيها أصحابها وأفادوا، وكما قالوا: رب ضارة نافعة، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١.

ولعل أهم الكتب التي صدرت مؤخرا في الرد على هذه الضلالات هي:

^١ سورة يوسف عليه السلام، آية: ٢١.

- التحريف المعاصر في الدين للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة.

- تهافت القراءة المعاصرة للدكتور منير محمد طاهر الشواف.

- بيضة الديك للأستاذ يوسف الصيداوي.

- الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن للأستاذ ماهر المنجد.

- القراءة المعاصرة مجرد تنجيم للسيد سليم الجابي.

- القرآن وأوهام القراءة المعاصرة للمهندس جواد عفانة.

- الماركسية والقرآن للمحامي محمد صياح المعراوي.

بالإضافة إلى مقالات ومحاضرات وأبحاث متعددة، أبلى فيها أصحابها بلاء حسنا في تبصير المسلمين بحقيقة دينهم، مجتهدين في نصر الحق، وكبح جماح الباطل.

وإذا كان هذا هو هدف دعاة القراءة الجديدة بمدلولها الأول، فإنه ينطبق على الفريق الأول منهم، بخلاف الفريق الثاني، فإننا لا نستطيع أن نتهم رجاله بهذا، وإن كانوا قد شاركوا الفريق الأول في الإضرار بالإسلام وأهله، وساعدوا الفريق الأول على نشر سمومه، وشجعوه على المضي قدما في سبيله، وكان الأولى بهم أن يدعوا إلى التمسك بمنهج سلف هذه الأمة قولاً وعملاً، فإنه هو السبيل للنهوض بالأمة واسترجاع ريادتها

وقيادتها، ورحم الله تعالى الإمام مالك الذي قال: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ومما يؤكد هذا أن نرى أن أعداء الإسلام ينزعجون من مثل الدعوة إلى إحياء منهج السلف في الأمة، بينما يباركون دعوات التجديد التي تقوم على نفس منهج السلف، وإلغاء دوره التوجيهي في الحياة!

المطلب الثاني: نماذج من نتائج القراءة الجديدة.

حين يحاول الباحث في هذا الموضوع عرض نماذج محددة - في بحث مختصر محدد الصفحات كهذا -، يجد صعوبة في الاختيار أمام الكم الهائل من النماذج المتنوعة التي تزخر بها كتب دعاة هذه القراءة، حيث شملت الانحرافات التفسيرية التي قرروها مسائل العقيدة والأحكام !!

وقد رأيت في هذه العجالة أن أختار نموذجاً واحداً من كل نوع من هذه الأنواع.

النموذج الأول: في العقيدة.

قرأوا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^١، ونظائرهما من الآيات المتعلقة بقصة إبليس وإيائه السجود لآدم عليه السلام، ومع وضوح الآيات الكريمة المنزلة في الكتاب الذي يسره الله تعالى للذكر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٢، ومع إجماع المفسرين^٣ على المعنى المفهوم من ظاهر الآيات،

^١ سورة البقرة، آية: ٣٤.

^٢ سورة القمر، آية: ١٧.

^٣ انظر في تفسير هذه الآية: ما شئت من تفاسير جهاذة مفسري المسلمين عبر القرون، كالإمام ابن جرير الطبري شيخ التفسير بالمأثور في تفسيره جامع البيان، وشيخ المفسرين بالمعقول الإمام فخر الدين السراي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب، وغيرهما من كتب التفسير على كثرتها.

من بيان فضيلة آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه، وطاعة الملائكة الكرام الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١ لربهم، واستجابتهم لأمره، وكبر إبليس وعناده، وإيائه السجود وكفره.

مع هذا التفسير الذي لم يختلف فيه اثنان من مفسري القرآن عبر القرون العديدة، تظهر دعوى يقول صاحبها: أريد أن أبين أن هدف هذه الدراسة هو إعادة النظر في قصة إبليس ودراسة شخصيته وموقفه ومسؤوليته ومصيره على ضوء جديد يختلف عما ألفناه من عقائد وأفكار سيطرت على تصورنا لهذا المخلوق، أما المراجع التي سأعتمد عليها فهي الآيات القرآنية التي تروي لنا قصة إبليس وسيرته... إلخ^٢.

فخرجت هذه القراءة الجديدة بفهم جديد، لولا أنا مضطرون لضرب مثل على ما نحن بصدده لما سوغنا لأنفسنا أن نذكره، لما فيه من سوء فهم وبشاعة وقصد سيئ، وإن ألبست ثوب البحث العلمي، ومحاولة الفهم الجديد !!

من ذلك: أن إبليس برر رفضه السجود لآدم تبريرا منطقيا واضحا إذ قال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^٣ !! ثم يقول بعد إمعان النظر بحجة إبليس التي تتألف من مفاضلته بين جوهره "النار" وبين جوهر آدم "الصلصال": نجد أنها لم تكن استكبارا وفخارا بقدر ما كانت استذكارا لحقيقة أساسية ثابها الله وأوجدها على ما هي عليه^٣ !!

^١ سورة التحريم، آية: ٦.

^٢ انظر نقد الفكر الديني ص ٨٣.

^٣ السابق ص ٩١.

وبعد مناقشة العقاد في كتابه " إبليس "، يخلص إلى: أن دعوى
العقاد القائلة بأنه كان يجب على إبليس أن يسجد لآدم لأنه أفضل من
الملائكة دعوى فاسدة مردودة !!١

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا الكلام مناقشة تفصيلية، ولكن نقول:
هكذا تفرز القراءة الجديدة عندما تكون في حل من الأصول والضوابط،
وتحلل من الثوابت والمسلمات، تفرز فهما جديداً يقول: إن الله عز وجل
عندما أمر الملائكة بالسجود لآدم، إنما كان يمتحن صدق إيمانهم، فسقطوا
بالامتحان جميعاً، إلا إبليس الذي وعى ذلك، فأبى أن يسجد بدعوى أن
السجود لا يجوز إلا لله !!٢

تسفيه للملائكة الكرام، وتبرير لإبليس الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ
اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٣، اللهم إلا أن تكشف لنا القراءة الجديدة عن معنى
لغوي جديد لللعنة كأن يكون الرحمة - مثلاً - أو الكرامة أو نحوها من
الألفاظ المضادة لمعنى الطرد والإبعاد !!!

وكما أن تفسير النص الكريم - وفق ما فهمه جميع المفسرين -
واضح لا لبس فيه، فإن بطلان ما أفرزته القراءة الجديدة، كذلك واضح لا
لبس فيه.

^١ السابق ص ٩٦، وانظر كتاب " إبليس " للعقاد ص ١٢٧.

^٢ انظر الماركسالية ص ٣٣.

^٣ سورة الحجر، آية: ٣٥.

وسوء الفهم ناتج من تفكيك النص من جهة، ومن فك ارتباطه بالنصوص المشابهة من جهة أخرى، وعدم الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها القرآن، وسلوك مسلك السفسطة في الاستنتاج، فإن الله تعالى أثبت كفر إبليس في النص نفسه، وأقر ما كان من الملائكة، والآيات المشابهة تكشف عن المراد بجلاء - والقرآن كما قيل يفسر بعضه بعضا - قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ١، إذن فهو الكبر وليس وعي الخطاب الإلهي، والتبرير المنطقي الواضح ٢، وإن استناده إلى قياسه الفاسد هذا كان سببا لسقوطه الأبدي في الكفر ٣.

وإن التحلل من الضوابط، وإغفال اللغة التي نزل بها القرآن، وإهمال المأثور في تفسير النصوص، أوصل القراءة المعاصرة بشأن إبليس - أيضا - إلى متاهات لا نطيل بذكرها، ويكفي أن نقف من ذلك على ما أفرزته عند قراءة قوله تعالى: ﴿ بَدَتْ لَهُمَ سَوَاءٌ لَّهُمَّا ﴾ ٤ من أن الآية هنا تصف التصرف الطفولي البدائي للإنسان عندما يستشعر أنه اقترب ذنبا.. وهي لا تعني ظهور الأعضاء التناسلية !! ٥

١ سورة الأعراف، الآيتان: ١٢ و١٣.

٢ انظر تفسير الآية في مدارك التنزيل للنسفي ٤٦/٢.

٣ انظر القراءة المعاصرة في الميزان ص ٣٨٩.

٤ سورة الأعراف، آية: ٢٢.

٥ انظر السابق، وما كتبه صاحب "الكتاب والقرآن" عن إبليس ص ٣١٣-٣١٥، وما فيه من تلاعب عجيب بالألفاظ !!

وهذه القراءة الجديدة منقوضة من وجوه:

١- أن اللغة التي نزل بها القرآن تفيد أن المراد ب ﴿سوءاتهما﴾ عوراتهما.

٢- أن أقوال السلف والخلف اتفقت على ذلك.

أن السياق - في السباق واللاحق - يقتضي ذلك، أما في السباق، فإن قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ لِهَمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءَاتِهِمَا﴾، ظاهر في أن إبليس إنما أراد أن يكشف ما ستر وغطي عنهما من عوراتهما ليسوءهما بذلك، وأما في اللاحق، فإن قوله تعالى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾.

٣- ظاهر - أيضا - في أن المراد أنهما شرعا في ضم ورقة على ورقة وإصاقها بجسميهما لستر ما كشف لهما من عوراتهما، وأن أي قراءة سليمة للنص الكريم لا تفيد إلا ذلك، فكيف يستقيم النص الكريم بعد هذا على أن المراد ب ﴿سوءاتهما﴾ هنا سيئاتهما؟!!

٤- وأرى أن ما ذكر كافي في دحض ما أفرزته القراءة الجديدة هنا، ولسنا بحاجة إلى ما ذكره بعضهم في رده من أنه لو كانت سوءاتهما تعني سيئاتهما لاقتضى ذلك أنهما جمعا سيئات كثيرة لا سيئة واحدة، ولقال سوءاتهما بالمتنى لا بالجمع، باعتبار سيئة آدم وسيئة حواء - عليهما السلام - ١.

^١ انظر القرآن وأوهام القراءة المعاصرة ص ٢٢٠، وانظر في الرد - أيضا - القراءة المعاصرة في الميزان ص ٣٨٧.

أقول: لا حاجة بنا إلى ذكر هذا، إذ قد يقول المخالف: إن الجمع قد يطلق ويراد به الاثنين، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾^١، وهما امرأتان.

وقس على هذا غيره من النماذج الكثيرة، التي تشوه الحقائق، وتمسح العقائد، وتقلب الموازين، مما لا يستأهل - والله - الذكر والوقوف عنده، بله النقد والمناقشة.

النموذج الثاني: في الأحكام.

لقد كشفت لنا القراءة الجديدة للقرآن الكريم عن أحكام جديدة، ما أنزل الله بها من سلطان، فقد ملئت كتب هؤلاء القراء بكم هائل من تلك الأحكام العجيبة التي ما عرفها المسلمون مدة أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، غير أن أصحابها الجدد يزعمون أنها مراد الله تعالى، وإن غفل عنه سلف هذه الأمة وخلفها.

ولا أريد أن أعيد ما ذكرته من نماذج في بحث سابق، عن لباس المرأة وزينتها الذي يندى له جبين كل غيور^٢، وسأذكر عوضه نموذجاً

^١ سورة التحريم، آية: ٤.

^٢ انظر بحثنا: تدبير القرآن بين المنهج الصحيح والانحرافات المعاصرة ص ٥٠-٥٢، الذي سبقت الإشارة إليه، فمما جاء فيه: أن جيوب المرأة على زعمها لها طبقتان أو طبقتان مع خرق، وهي ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين، وهذه كلها جيوب، فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها لذا قال تعالى: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} [النور ٣١].. وبهذا ينسف ما استقر عليه العمل بإجماع المسلمين على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان!! منذ فسرت أم المؤمنين عائشة - رضي الله تعالى عنها - حين قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} شققن مرطهن فاختمرن بها. أخرجه البخاري برقم ٤٧٥٨ في كتاب التفسير ١٠/٥١٠، وبعد هذا التخبط يبين أن السبب في ذلك النهي (ولا يضربن بأرجلهن) هو لكي لا يعلم ما يخفين من زينتهن، وهنا الكلام عن الزينة المخفية وهو الجيوب... إلخ!!

يخص المرأة - أيضا -، في عصر ترتفع فيه الأصوات منادية بحقوق المرأة، لنرى ما الذي حققته هذه القراءة الجديدة للمرأة من حقوق، فانت عليها في القراءة السابقة عبر القرون؟

فلدى قراءة النص الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^١ قراءة جديدة، جاء هذا التنبيه الذي يقول فيه صاحبه:

وهنا نريد أن ننبه إلى آية صلاة الجمعة حيث لم يرد أمر صريح في الكتاب حول الصلاة والذهاب إليها إلا صلاة الجمعة، وذلك بأمره تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾^٢ الآية، هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء، فعلى المرأة المسلمة كالرجل تماما أن تكون حريصة على حضور صلاة الجمعة سافرة أم متحجبة حسب أعراف بلادها، وأن تضرب عرض الحائط احتكار الرجال لصلاة الجمعة، ولنلاحظ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء أيضا، فعلى من نعلمنا أن نفهم ذلك ونقبله من غير حرج^٢.

هذا ما أفرزته القراءة الجديدة لهذا النص الكريم، فهل جاء هذا في مصلحة المرأة، وأنه تنبه إلى حق من حقوقها غفل عنه - أو غمطها إياه -

^١ سورة الجمعة، آية: ٩.

^٢ الكتاب والقرآن للمهندس شحرور ص ٦٢٣.

سلف الأمة وخلفها؟ أم أنه إتقال لكاهلها بأمر لم يكلفها الله تعالى به؟ هل هذا الفهم يتفق مع يسر الشريعة ومراعاتها لمصالح العباد؟ فأيهما أيسر على المرأة وأليق بحالتها ووضعها؟ إلزامها بحضور صلاة الجمعة أم ترك ذلك لاختيارها؟ وماذا يكون وضع بيتها وأولادها وحقوق زوجها - من تهيئة طعام أو ترتيب بيت أو رعاية صغار - إذا كانت ملزمة بحضور صلاة الجمعة كما ألزم بها الرجال؟ فهل يصح بعد هذا وغيره إدراج إلزام المرأة بحضور صلاة الجمعة في هذا الفقه الجديد تحت حقوق المرأة وواجباتها؟

فمن المعلوم أن الحقوق والواجبات والتكاليف الشرعية حين تتعلق بطبيعة الأنثى بوصفها أنثى، وبطبيعة وضعها في الجماعة، وموضعها في المجتمع، أو تتعلق بالذكر بوصفه ذكراً، أو بطبيعة مكانه في الجماعة، وموضعه في المجتمع، تكون هذه التكاليف متنوعة بين الرجل والمرأة، لأنها لا تكون علاجاً للإنسان كإنسان، بل تكون علاجاً لهذا النوع من الإنسان الذي له نوع من الطبيعة الإنسانية مختلف عن النوع الآخر.

ثم إن الإسلام لما جاء بهذه الأحكام المتنوعة، أمر أن يرضى كل منهما بما خصه الله به من أحكام، كما نهى الرجال والنساء عن التحاسد، وعن تمنى ما فضل الله به بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ الآية ١.

^١ سورة النساء، آية: ٣٢. وانظر تهافت القراءة المعاصرة ص ٥٨٥ و ٥٨٧.

ولدى مناقشة هذا الفقه الجديد، المستنبط من الآية الكرية في القراءة الجديدة، نرى أن الآية لا تدل على شيء من ذلك بل تشير إلى خلافه، وذلك:

- أن قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ في آخر الآية، مقصود به الرجال دون النساء، إذ من المعلوم أن المرأة لم تكن تتاجر بنفسها، بل كانت تشارك رجلا يتاجر بمالها، ثم إن السياق يؤيد هذا، فقد ذكر الله تعالى هنا ثلاث آيات، الآية التي معنا، وبعدها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾، فقوله تعالى: ﴿ فَانْتَشِرُوا ﴾، وقوله ﴿ وَتَرَكُوكَ ﴾ خاص بالرجال كما هو بين، لأنه لو كانت النساء مخاطبات بالانتشار في الأسواق لكان هذا مناقضا لندب التزامهن بيوتهن والتقليل من الخروج منها ما أمكن، ناهيك عن أن الانتشار في الأرض عام، فهو يعني السفر أيضا، يؤكد قوله تعالى بعدها ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾.

ثم إن الذين تركوا الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم التجار من الرجال كما ثبت في سبب النزول^١، وأصل سبب النزول متفق عليه، وفيه: فثار الناس إلا اثنا عشر رجلا. ١

^١ انظر القرآن وأوهام القراءة المعاصرة ص ٤٢٨-٤٢٩، باختصار وتصرف.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وإن كان في أصله يعم المكلفين من الرجال والنساء، إلا أن السنة خصصته هنا بالرجال، كما أخرجت المرضى والزمنى والمسافرين والعبيد ومن لا يستطيع السعي إليها^٢، وأن الإجماع منعقد على أن لا الجمعة على النساء^٣.

على أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا يفيد العموم دائماً، فقد يراد به الرجال خاصة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^٤.

إن الذي أدى إلى هذا الفهم السيء، إنما هو التحلل من الضوابط، التي منها - إضافة إلى ما تقدم - عدم الرجوع إلى السنة المطهرة الشارحة للقرآن، التي طلب الله منا الرجوع إليها بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٥، فقد ثبت فيها أن صلاة الجمعة واجبة على الرجال دون النساء كما هو معلوم^٦.

^١ أخرجه البخاري برقم ٤٨٩٩ في كتاب التفسير ٣٤/١١، ومسلم برقم ٨٦٣ في كتاب الجمعة - باب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ الآية.

^٢ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١٨، التحرير والتنوير ٢٨/٢٢٦.

^٣ انظر المغني لابن قدامة ٢١٦/٣، والمجموع للنووي ٤/٤٨٤.

^٤ سورة النساء، آية: ١٩.

^٥ سورة النحل، آية: ٤٤.

^٦ أخرجه أبو داود برقم ١٠٦٠ عن طارق بن شهاب عن النبي ﷺ قال: الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض - باب الجمعة للملوك والمرأة ٩٢/٢-٩٣ وقال: طارق بن شهاب قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً، قال النووي في المجموع ٤/٤٨٣: إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، وهذا الذي قاله أبو داود لا يقدح في صحة الحديث لأنه إن ثبت عدم سماعه يكون مرسل صحابي، ومرسل الصحابي حجة عند أصحابنا وجميع العلماء إلا أبو إسحاق الأسفريني.

وعدم الرجوع إلى السنة وادعاء الاكتفاء بالقرآن - وهو فكر منحرف تبناه من يسمون أنفسهم بالقرآنيين كما هو مذهب البروزية الذين سموا أنفسهم " أهل القرآن " زورا وبهتانا -، يؤدي إلى تخطب كبير في أحكام الشرع، مع أنه مخالف للقرآن الذي يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ١، مما هو مبسوط في مظانه فلا نطيل بذكره هنا ٢.

ثم إن قوله إن الأمر حول الصلاة والذهاب إليها لم يرد إلا في آية الجمعة غير دقيق، فقد ورد أيضا - في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ٣.

وأما السنة فطافحة في بيان المشي إلى الصلاة، وفضيلة حضور الجماعات، والسنة صنو القرآن، والوحي وحيان، فهما يخرجان من مشكاة واحدة، والنبى صلى الله عليه وسلم مشرع؛ كما هو معلوم في عقائد الإسلام وقواعد الدين.

وقوله: .. احتكار الرجال: غير صحيح، فالمرأة لا تمنع من حضور صلاة الجمعة إن شاءت، إلا أن ذلك ليس لازما عليها.
ثم لا يخفى على المتبصرين أن ظاهر كلامهم الحرص على تعلم المرأة أحكام دينها، وباطنه تشجيعها على الخروج من بيتها - سافرة أو متحجبة -، وهذا مقصودهم وهدفهم، وفي ذلك من المفاسد ما فيه على ما لا يخفى!!

^١ سورة الحشر، آية: ٧.

^٢ ناقشت رسالة ماجستير في الرد على هذه الفرقة الضالة، قدمتها الطالبة سعاد سلطانة في الجامعة الإسلامية العالمية بإبادة سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

^٣ سورة المائدة، آية: ٥٨.

^٤ ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شيعة على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فطليه أن يعقبهم بمثل قراه. أخرجه أبو داود برقم ٤٥٩٤ في كتاب السنة - باب في لزوم السنة ١٨٥/٥.

أرى أن ما ذكر من النماذج كاف في الوقوف على ما أفرزته القراءة الجديدة، وبيان ما ترمي إليه، وحاولت أن أختار في الأحكام ما يحتمل فيه النقاش، وإلا فإن ما لا يستسيغه عقل مسلم كثير بل لا يكاد يحصى !!

وأكرر ما ذكرته أولاً من أنه لولا ضرورة البحث لما كان لذكر هذه النماذج معنى فتركها أولى من ذكرها، فبطلانها بين، وعوارها مكشوف.

وقد صدق الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة إذ يقول وهو يتابع مثل هذه الضلالات:

إنني لأخجل من القارئ ومن نفسي حينما أضع مثل هذا المجنون الفكري، أو الجنون الكفري، موضع التحليل والنقد والتفنيد، إذ لا يستحق لدى العقلاء، بل لدى ذوي الفكر العادي أكثر من النبذ إلى الحريق، أو إلى مجمع القمامات، وعذري في كشف أباطيله وزيوفه وتعريه مقاصده وغاياته، أننا في مجتمعات بشرية يوجد فيها من يقتاتون على أرجاس القمامات الفكرية، لما لهم فيها من أهواء وشهوات، وهذا الأمر يجعلنا مضطرين إلى تحذيرهم من أضرارها وأخطارها، وكشف أرجاسها، وتوعيتهم بما فيه صحة لهم، وبما فيه داء وبيل لأفكارهم ونفوسهم وقلوبهم^١.

^١ انظر التحريف المعاصر ص ٢٣٤.

المبحث الثالث

المنهج السليم في القراءة الجديدة

المطلب الأول: لماذا القراءة الجديدة؟

قبل أن نبدأ بذكر الضوابط اللازمة، والقيود التي لا بد من التزامها في أي تغيير، نطرح سؤالاً مفاده: لماذا القراءة الجديدة، ما الداعي، وما المبررات؟

يهدف بعض دعاة التجديد إلى إيجاد العقل المسلم المستنير القادر على ممارسة دوره في الاجتهاد والتجديد وال عمران الإنساني، لتأهيل المسلم لدور الاستخلاف، والقيام بحق التسخير، والوصول إلى هدف التمكين، والقيام بحق الأمانة^١.

وينعى على الذين يعطلون عقولهم فيقول:.. وكان الله خلق لنا عقولاً لنعطلها عن الانتاج، ونمنعها من الابتكار، ونحول دونها ودون الإبداع.. إلخ^٢.

ثم إن واقع المسلمين المشهود، والأمل الحضاري المنشود، يجعلهم يدركون - كما يقولون - ما يمليه ذلك الأمل من دفع للتحديات، واجتياز للعقبات.

^١ انظر إصلاح الفكر الإسلامي ص ١٠٣.

^٢ السابق ص ٧٦.

وهنا نقول: إن هذا الكلام في ظاهره جيد ومقبول، وكل مسلم مطالب بان يبذل جهده حسبما آتاه الله من مؤهلات لممارسة دوره في الإنتاج والإبداع، والقيام بحق الأمانة على الوجه الذي أراده الله تعالى، ولا يجوز بحال أن يعطل وسائل الإدراك التي منحها الله تعالى له، وكيف يفعل ذلك وقد حث الله تبارك وتعالى على أعمال الفكر في أكثر من ستين آية من آيات كتابه الكريم؟ وأما عن واقع المسلمين فحقاً إنه واقع مريع، فقد تدهورت هذه الأمة، فأصبحت في المؤخرة بعد أن كانت في الصدارة قائدة رائدة.

ولكن هل يفتح الباب لكل من هباً ودباً، ليقول ما يملئ عليه فكره القاصر، فيضر أكثر مما ينفع، ويفسد أكثر مما يصلح؟ وهل عدمت الأمة المفكرين والمجددين والمبدعين عبر تاريخها الطويل، وحتى في عصرها الأخير؟ هل كانوا جامدين على النصوص، فلم يقرؤوها قراءة واعية متبصرة؟ ثم هل السبب في تأخر المسلمين في واقعهم المشاهد، هو الوقوف عند الثوابت والمسلمات، والتزام القواعد والضوابط، أم في التقلت منها؟!!!

خذ - مثلاً - آية من كتاب الله تعالى الذي أنزل منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^١، ولا يخفى ما لها من أهمية في حياة

^١ سورة الأنفال، آية: ٦٠.

المسلمين وعلاقتهم الداخلية والخارجية، في عصور تموج بالفتن والاضطرابات ولا تعرف إلا منطق القوة والغلبة، فما هي القراءة الجديدة للنص الكريم؟ وهل الفهم الجديد يقتضي نفس ما كان عليه السلف من فهم ومعرفة؟ وبعبارة أخرى: هل إن الأخذ بما ورد عن السلف في ذلك يحول دون التزام الأمة به، والتفافها حوله كما كانت في سالف مجدها وأيام عزها؟

نجد في قراءة السلف للنص الكريم، أن ابن جرير الطبري وهو من علماء القرن الرابع الهجري ت ٣١٠هـ - بعد أن نقل جملة من الآثار والأقوال - يقول:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عم الله الأمر بها.

فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي" قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر "ألا إن القوة الرمي" ولم يقل: دون غيرها.

ومن القوة - أيضا - السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وهي النكاية منهم ١.

أقول: وقد ورد في تأكيد هذا العموم آثار وأقوال متعددة، ليس هذا محل بسطها.

على أن إرادة العموم ظاهرة من السياق، حيث جيء بـ ﴿مَنْ﴾ في بيان القوة، المفيدة لجنس ما يتقوى به في حرب أعداء الله، ليتناول جميع وجوهها، وكافة وسائلها وأسبابها: الاقتصادية والسياسية والعلمية.

ودخل - أيضا - تحت قوله تعالى ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ كل ما يدخل تحت القوة من الإعداد والتهيئة والإحضار ٢.

فماذا في هذا الفهم ليلغى ويضرب به عرض الحائط!! وهل تجد فيه ما يمنع من البناء والإضافة؟

وخذ مثلا آخر في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى من أن نفقة الزوجة تخضع في هذا للظروف المتغيرة، سواء كانت فكرية أم اقتصادية أم اجتماعية، حيث يختلف الحكم الشرعي في التوسعة والتضييق بحسبها، وهكذا نجد أن كلمة المعروف في النص

^١ انظر جامع البيان ٣٧/١٤.

^٢ انظر كتابنا: أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم ص ٨٦.

الكريم تتسع لكل العصور ١، وأما الملاطفة والمداعبة وبسط الوجه والتودد والمؤانسة ونحوها من وجه العشرة الحسنة الجميلة فأمره واضح في الشمول والامتداد عبر الأزمان ٢.

فهل التجديد هو مجرد التغيير وإن كان بهدم المبادئ والأسس الثابتة، أم الوصول إلى النافع والمفيد، وإضافة الجديد وفق تلك المبادئ والأسس؟ فإن كان الأول: فلا كلام لنا هنا، لأنه ضرب من العبث، يحمي المسلم منه فكره وقلمه، لأن الدعوة إليه ما هي في الحقيقة إلا دعوة إلى مسخ الدين وهدمه، وإن كان الثاني: فهو ما كتب من أجله هذا المبحث، وحينئذ لا بد من ضوابط يهتدى في ضوئها للوصول إلى الحقائق، وإلا فستكون ثمة متهاتات كثيرة، وانحرافات خطيرة، لاحصر لها.

المطلب الثاني: ضوابط القراءة الجديدة:

أنكر بعضهم أن تكون قراءة جديدة، ذلك لأن النص العربي - في نظرهم - لا يحتمل أكثر من قراءة واحدة، وخالفهم آخرون وأجازوا أن

^١ انظر التفسير المنير، الجامع لأحكام القرآن ٩٧/٥، المقطف من عيون التفاسير ٤٢٩/١، وانظر القراءة الجديدة للنصوص الدينية للشيخ حسن الجواهري ص ٢٧.

^٢ انظر ما ذكره ابن كثير ٧٠٣/١: من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع نسائه، فقد كان صلى الله عليه وسلم جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني فقال: هذه بتلك، ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبني عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم العشاء في بعض الأحيان، ثم تتصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالآزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمع مع أهله قليلا قبل أن ينام، يونسهم بذلك، وقد قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} الأحزاب/ ٢١. أقول: وهذه الأخلاق وأمثالها لا تختلف من زمان إلى زمان، ما دامت وفق الضوابط الشرعية، فتأمل كيف يتسع اللفظ القرآني الكريم لكل عصر ومصر.

تكتب في كل عصر من العصور وقرن من القرون قراءة جديدة لكتاب الله تعالى، على ضوء مستجدات العصر نفسه، لأن النص الإلهي يختلف عن غيره، مشترطين أن يتم ذلك من قبل المتخصصين والعارفين بالله من جهة، وضمن الأصول التي ألزمتنا بها كتاب الله، ووفقاً لمشئنة ربنا الذي أنزله، منكرين أن يتصدى لهذا غير متخصص، فلا يعتمد الأصول التي لا بد من اعتمادها، وينطلق غير الانطلاقة التي ذكرها ١.

ونحن مع هذا الفريق الثاني، وسنذكر هنا أهم ما ذكره العلماء من الضوابط التي يلزم توافرها في القراءة الجديدة للقرآن الكريم، كي يستخرج القارئ ما أودع الله تعالى في كتابه من معارف وحكم وأسرار وإشارات، وهي على النحو الآتي:

١- أن يكون على علم بالدراسات القرآنية، ومن أهمها: علم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ.

٢- أن يتعلم أصول التفسير وقواعده، ومن أهمها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، وهو المسمى بالتفسير المأثور.

٣- أن يتعلم قواعد اللغة العربية ووجوه البلاغة فيها من حيث إن الكتاب الكريم نزل بهذه اللغة، وهو في الدرجة العليا منها فلا يتأتى التعمق في فهمه إلا بالإمام بلغته.

^١ انظر القراءة المعاصرة.. مجرد تنجيم ١٢/١.

٤- أن يطلع على ما ذكره المفسرون القدامى والمُحدثون ليكون على دراية بمناهجهم وطرق استنباطهم، وليحرص على تنويع تلك المصادر وتعدد اتجاهاتها.

٥- أن يراعي ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد.

حيث إن الارتباط الأول يتطلب من قارئ النص القرآني أن يبحث عن النسق الذي يكشف عن التلاحم أو التناسب بين معاني جمل الآية القرآنية ووحدة موضوع السورة، وإن الإرتباط الثاني يتطلب من المتدبر أن يتتبع ما في القرآن من نصوص ذات دلالات تشترك ولو بوجه من الوجوه مع المعنى الذي يبحث عنه في موضوع واحد، ليكشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع. ١

وهذا أمر لازم وفي غاية الأهمية، إذ أن تفكيك الجملة القرآنية وتفسير الكلمات والجمل بعيداً عن السياق واللاحق، وعدم ملاحظة ارتباطها بما يشترك معها في آيات الكتاب الكريم، أوقع في تأويلات فاسدة وانحرافات خطيرة.

ومن القواعد المسلمة في أصول التفسير: أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل منه في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فقد بسط في موضع آخر. ٢

١ انظر: قواعد التدبر الأمثل ص ١٣ و ١٤.
٢ انظر مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣.

٦- أن يراعي اللغة التي نزل بها القرآن والمصطلحات التي استعملها والبيئة التي نزل فيها^١، حيث إن الإخلال في هذا وتفسير الكلمات القرآنية بالمصطلحات الحديثة أوقع في أفهام فاسدة.

والأمثلة على هذه الفهوم الخاطئة قد كثرت في أزمنة الناس هذه بسبب ضعف اللغة والتحلل من ضوابط التفسير وقواعده، كما تقدم في النماذج في المبحث السابق.

إن من ألم بهذه العلوم ونحوها وبلغ هذا القدر من العلم والمعرفة، يصبح أهلاً لأن يقرأ الكتاب الكريم قراءة متبصرة، يهدف في ضوئها إلى فهم جديد، يضيفه إلى أفهام السابقين، مما يكون له الأثر الفاعل في النهوض بالأمة وحل مشاكلها المعاصرة، وهو ماجور فيما توصل إليه من الفهم واستنباط الحكم والأحكام والوقوف على الأسرار، واستخراج ما تيسر من كنوز المعرفة التي يزخر بها القرآن، ما دامت تلك المعارف لا تصادم النصوص، ولا تعارض ما أجمعت عليه العقول، وفي التفسير الموضوعي هدايات منيرة، ودروس وعبر وعظات مفيدة وجديدة.

وأما من لم يتأهل بعد لهذه المقامات فليرح نفسه وليرح الناس من الانحرافات التي يقوده إليها فهمه الكليل وعلمه الضحيل، كما طفحت به كتب المتحللين من هذه الضوابط، وأكثرها - إن لم نقل كلها - مما لا يستأهل أن يذكر أو يناقش.

^١ انظر ما ذكره الدكتور البيوطي في بحثه: "جنون القراءة المعاصرة من أين وإلى أين"، وما نقله عن ابن جني في كتابه الخصائص ١/٢٥٤ فما بعدها.

إن البناء وإضافة المعارف أمر لا بد منه، وقد أثبتت الدراسات القرآنية في هذه الخصوص بلاء حسنا، وما المؤتمرات العلمية للإعجاز القرآني التي تعقد بين الفينة والفينة عنا ببعيدة، تلك المؤتمرات التي تتمخض عن أبحاث قيمة، فيها إضافات نافعة، مع سلامتها من التحلل والانفلات، وقد سبقت الإشارة إليها في المقدمة.

ومثل هذا ما تسفر عنه المجامع الفقهية، ودور البحث العلمي ومراكزه، والدراسات القرآنية والحديثية، وما أنتجت من إصدارات نافعة فيها توضيح لكثير من مستجدات العصر وحل لمشاكله، وكل ذلك إنما استفادوه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلم يكن علماء هذه الأمة - بحمد الله تعالى - جامدين على النصوص، أو غير قادرين على قراءة ما وراءها، وباب الاجتهاد بشروطه لم يقفل، ولن تعدم الأمة مجتهدين صادقين، يسرون في خط واضح وفق الضوابط المعلومة، غير معطلين لدلالات النصوص، ولا ملغين للأحكام المستتبطة منها، ولكنهم يبنون عليها، ويضيفون إليها، وشتان ما بين البناء والهدم !!

وصدق الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - إذ يقول: (ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة، إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها!).

وسبيل الهدى هو ما كان موافقا لهدي القرآن كما هو ظاهر، وأما ما جاء مخالفا لهديه، ومصادما لأسسه وقواعده، فهو ليس من الهدى في شيء، إنما هو من الضلال الذي ينزه عنه القرآن.

¹ انظر الرسالة رقم ٤٨، ص ٢٠.

ومثله قول الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -: إن القرآن حوى جميع العلوم، فمن قرأه قراءة تدبر وفهم، وعمل بمقتضاه فقد حصل الغاية القصوى التي ليس وراءها مرمى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ٢١.

فليكن القرآن الكريم هو الذي يوجهنا ويهدينا، فإن الله تعالى إنما أنزله لذلك وليكون فرقانا بين الحق والباطل، كما أراده منزله سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ ٣، وإن من الخطورة بمكان أن يكون المرء موجها للقرآن، أو أن يخضعه لرأيه وفكره، بلي عنق الآيات، واستتطاق النص بما لم يقله، كما هو شأن المتحليلين من الضوابط في قراءتهم الجديدة للقرآن.

إن الضوابط التي أرسى قواعدها المتخصصون، وتلقتها الأمة بالقبول عبر القرون الطويلة، هي التي تمنع من الانحراف في التفكير، ولا تسمح في الجنوح والطغيان على النصوص، وبذلك يسير الفكر راشداً فيأتي بالنافع ويضيف المفيد.

وبذلك - أيضاً - يتم التوفيق بين الوقوف عند المبادئ والأسس الثابتة، مع أعمال الفكر الذي حثت النصوص الكريمة على أعماله وفق منهج سليم بلا إفراط ولا تفريط ٤.

^١ سورة البقرة، آية: ١٢١.

^٢ انظر التذكار ص ٦٦-٦٧.

^٣ سورة البقرة، آية: ١٨٥.

^٤ انظر بسط هذا وتفصيله وأمثله في كتاب الماركسالية والقرآن ص ١٧٨ فما بعدها.

الخاتمة:

ونذكر فيها أهم ما وصل إليه البحث من نتائج، بنقاط محددة على النحو الآتي:

- القراءة الجديدة للقرآن الكريم والنصوص الدينية مصطلح جديد، يمكن اعتباره سلاحاً ذا حدين، فقد يراد به الإساءة إلى القرآن والدين باسم التجديد والتقدم، من باب قلب الحقائق وتشويهها، وقد يراد به بعث الهمم واستنهاض العزائم، للخروج من الواقع المرير الذي تعيشه أمة الإسلام هذه الأيام.

- أن تشويه صورة الإسلام أصبح هدفاً مهماً من أهداف أعدائه من المستشرقين والعلمانيين، ومن لف لفهم من الملحدين والمنافقين.

- أن الكذب وتحريف الحقائق غدا سمة من سمات الإعلام لدى أعداء الإسلام، تماماً مثلما يجعل الكذب وسيلة من وسائل الثراء الفاحش.

- لقد أدرك أعداء الإسلام أن سر انتصار المسلمين يكمن في قوة تمسكهم بكتاب ربهم، وفهمه في ضوء فهم أسلافهم، فتضافرت جهودهم في بلبلة أفكار المسلمين بفهم جديد، يقوم على نسف ما بناه أسلافهم إبان عصورهم الزاهرة، ليكون الإسلام بعد ذلك في نفوس المسلمين كالنصرانية اليوم في نفوس النصارى، التي خرجت من الدين الإلهي إلى الدين الطبيعي !!

- ولذا فإن أي تجديد يدعى إليه لا يقوم على الأسس التي أرسى دعائمها سلف الأمة يجب رفضه بكل قوة، فما هو في الحقيقة بتجديد، وإنما هي معاول هدم ألبيست صبغة التجديد، في نفاق خسيس يهدف إلى تمرير ذلك على عقول أبناء المسلمين وشبابهم ومتقفيهم.

- وأن رجال العلم والفكر والدعوة في الأمة مدعوون للوقوف بحزم بوجه هذه الحملة الشرسة الجديدة، وكشف زيفها وفضح دسائسها، وتبصير المسلمين بعظيم خطرها، ونذكرهم هنا بالوقفة المشرفة التي وقفها أسلافهم بوجه حملات دس الخرافات من الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات الباطلة، فحفظوا الدين وحموه، ونفوا عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

- أكثر نتائج القراءة الجديدة المتجررة من الضوابط، الخارجة على الثوابت والمسلمات، - إن لم نقل كلها - لا تستأهل أن تذكر، أو تعرض على مائدة البحث والنقد والمناقشة، لتهافتها ووضوح بطلانها، بل وإفراز الكفر الصريح من بين سطورها، وقد اضطررنا إلى ذكر نماذج من ذلك، لعلها أقل شراً وأخف ضللاً من غيرها.

- أن القراءة الجديدة إذا كانت وفق الضوابط والقواعد المقررة، التي أشرنا إليها في المطلب الثاني من المبحث الثالث من هذا البحث، تكون نافعة ومفيدة، بل لا بد منها، وهي حاصلة في الأمة بحمد الله تعالى، ولم تنزل الدراسات القرآنية والحديثية والمجامع الفقهية، ودور البحث العلمي، والمؤتمرات الدولية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي الكبير تبلي بلاء حسناً في هذا المضمار، وإن كان الأمر يتطلب مزيداً من الجد والاجتهاد.

فهرس بأهم مراجع البحث:

بعد القرآن الكريم:

١. أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم للدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي - الطبعة الثانية - دار البحوث للدراسات الإسلامية وأحياء التراث - دبي.
٢. إبليس للأستاذ عباس محمود العقاد - منشورات المكتبة العصرية - بيروت - صيدا.
٣. الإتيقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ، المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان.
٤. استراتيجيا التجديد للدكتور محمد شريح موقع على الانترنت.
٥. إصلاح الفكر الإسلامي للدكتور طه جابر العلواني - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٦. تاريخ بغداد للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن ثابت بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٧. التحرير والتنوير للشيخ الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس سنة ١٩٨٤م.
٨. التحريف المعاصر في الدين للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩. التراث والتجديد للدكتور حسن حنفي - المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الرابعة سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
١٠. تهافت القراءة المعاصرة للدكتور المحامي منير محمد طاهر
الشواف - الناشر الشواف للنشر والدراسات - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.
١١. تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ت
٣٧٠هـ - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - دار المصرية للتأليف
والترجمة.
١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري
ت ٣١٠هـ، تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر.
١٣. الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد
الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت سنة
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٤. الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤هـ - دار التراث -
القاهرة.
١٥. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ - تحقيق
محمد عوامة - مؤسسة الريان بيروت - الطبعة الأولى سنة
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
١٦. الظاهرة القرآنية تأليف مالك بن نبي - ترجمة عبد الصبور
شاهين - مطبعة دار الجهاد بالقاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م.

١٧. في ظلال القرآن - للشهيد سيد قطب ت ١٩٦٥م - دار الشروق - القاهرة سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١٨. القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
١٩. القراءة المعاصرة في الميزان تأليف أحمد عمران - دار النفائس - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٠. القراءة المعاصرة.. مجرد تتجيم تأليف سليم الباجي - مطبعة نضر - دمشق - الطبعة الأولى ١٩٩١
٢١. القرآن وأوهام القراءة المعاصرة للمهندس جواد عفانة - دار البشير - عمان - الأردن - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٢٢. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢٣. الكتاب والقرآن قراءة معاصرة للدكتور المهندس محمد شحرور - دمشق - الطبعة السادسة سنة ١٩٩٤م.
٢٤. الماركسالية والقرآن للمحامي محمد صياح المعراوي - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٥. مباحث في علوم القرآن للأستاذ الدكتور صبحي الصالح - مطبعة الجامعة السورية، دمشق سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
٢٦. المعجم الوسيط - إدارة إحياء التراث، قطر - الدوحة.

٢٧. المجموع للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨. المغني للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت ٦٢٠هـ - تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو - عالم الكتب للطباعة - الرياض - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢٩. مفردات القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ت في حدود ٤٢٥هـ، تحقيق ٣٠. صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣١. مقدمة في أصول التفسير للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨هـ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور - دار القرآن الكريم - الكويت - الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٣٢. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ١٣٦٧هـ - تحقيق فواز أحمد زمرلي - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٣٣. نقد الفكر الديني للدكتور صادق جلال العظم - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م.